# اللبنانيات من شعر أبي ماضي

بقلم الدكتور عبد العزيز عتيق

في هذه الامسية الشعرية (*) يطيب لي ان احدثكم عن رائد من رواد الشعر الحديث . عن الشعر اللبناني الاصيل ايليا أبي ماضي.

ولست أحاول الليلة الحديث عن فنه الشعري وضروب التجديد فيه فلهذا مقام اخر . انما أحاول ان احدثكم عن ظاهرة من شعره جديرة بالملاحظة والتسجيل. هذه الظاهرة هي شعره الذي تغنى فيه بلبنان طبيعة وشعبا .

حقا لا تخلو الاداب العالمية قديما وحديثا من شعراء تمدحوا باوطانهم واشادوا بها في اشعارهم .

ومن الحق ايضا ان هناك من شعراء المهجر من شاركوا شاعرنا في هذه الظاهرة فنظموا شعرا فى تمجيد وطنهم الاول وتصوير تعلقهم به وأشواقهم اليه.

ولكني لا أظن ان احدا منهم قد شأى شأوه او بلغ مبلغه كما وكيفا .

ومن ثم فهذه الظاهرة في شعره ليست جديرة بالملاحظة والتسجيل فحسب ، وانما هي جدير ايضا بالدراسة والتنويه بها وتفهم بواعثها وأستنباط الدروس منها .

في قرية المحيدثة بلبنان ولد الشاعر ايليا ابو ماضي. ومن قرية المحيدثة رحل الى مصر في مطلع القرن العشرين صبيا في الحادية عشرة من عمره.

رحل وفي يده شهادة الابتدائية ، وفي ذاكرته وخياله رصيد من صور طفولته وملاعب حداثته ، وفى قلبه حب خالص بريء لكل ما خلف وراءه.

وكان عليه في مصر او الاسكندرية التي ارتضاها مقاما ان يعمل ليكسب قوته ، وان يعلّم نفسه . ولهذا نراه في الاسكندرية يشتغل ببيع الدخان والسجاير، ويستغل وقت فراغه في القراءة والاطلاع على اشعار كبار الشعراء القدامى والمعاصرين .

وقد دفعه حبه للشعر وكثرة مطالعاته فيه الى معالجته ثم نشر بعضه في الصحف والمجلات الادبية، حتى عرف بالادب والشعر.

ثم نراه بعد احدى عشرة سنة قضاها في مصر، تماما كالفترة التي قضاها في لبنان ، يصدر ديوانه الاول « تذكار الماضي » ويهديه الى الامة المصرية تعبيرا عن عواطفه نحوها .

ولم يكد يصدر هذا الديوان حتى نزعت نفسه القلقة الطموح الى الهجرة للعالم الجديد. والهجرة من الشام التي بدأت في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين كان لها دوافعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية .

(*) دراسة القيت في جامعة بيروت العربية .

الشاعر ايليا ابي ماضي

*.....*

وفي اشعار ابي ماضي ما يشير الى ذلك . ففي احدى قصائده يقول :

قد بكى التاركوك منك قنوطا ... فبكى الساكنوك خوف التنائي
واذا المرء ضاق بالعيش ذرعا ... ركب الموت في سبيل البقاء
أرض آبائنا عليك سلام ... وسقى الله أنفس الآباء
ما هجرناك اذ هجرناك طوعا ... لا تظني العقوق بالابناء
يسأم الخلد والحياة نعيم ... أفنرضى الخلود في البأساء ؟

وفي قصيدة اخرى يتخيل لبنان يعاتب ابناءه المهاجرين فيرد على عتابه بالحوافز التي دفعتهم على الهجرة، والتي لا تخرج عن حوافزه هو اليها ، فيقول على لسان لبنان :

يا شاعري قل للالى هجروني ... انا ما نسيتكم فلا تنسوني
ما بالكم طولتم حبل النوي ... يا ليت هذا الحبل غير متين
قد طفتم الدنيا ، فهل شاهدتم ... جبلا عليه مهابتي وسكوني ؟
مرت قرون وانطوت وكأنني ... لمحاسني كونت منذ سنين
أبليتها وبقيت .. الا انني ... للشوق كاد غيابكم يبليني

فيرد الشاعر على عتابه قائلا :

لبنان : لا تعذل بنيك اذا هم ... ركبوا الى العلياء كل سفين
لم يهجروك ملالة .. لكنهم ... خلقوا لصيد اللؤلؤ المكنون
ورثوا اقتحام البحر عن فينيقيا ... لا يقنعون من العلى بالدون
والارض للحشرات تزحف فوقها ... والجو للبازي وللشاهين
فأجابني والدمع ملء جفونه ... كم ذا تسَليني ولا تُسلّيني ؟
أنا كالعرين اليوم غاب أسوده ... وتفرقوا عنه .. لكل عرين
الارمني على سفوحي والربى ... يبني الحصون لنفسه بحصوني
وبنوا يهوذا ينصبون خيامهم ... في ظل أوديتي وفوق حزوني
أنتم ديون لي على آميركا ... ومن المروءة ان ترد ديوني
أو ليس من سخر القضاء وهزئه ... أن يأخذ المثري من المسكين؟

واستجابة لنداء المجهول ركب شاعرنا البحر من الاسكندرية ورحل مهاجرا الى اميركا الشمالية وهو في الثانية والعشرين من عمره .

أجل .. رحل هذا الشاب الطموح وكل ما يحمله معه ذكريات طفولته وصباه في لبنان ومصر ، وحب عميق لهذين الوطنين وءاعتزاز لا يحد بقوميته ولغته. وما أثمن

كل ذلك من زاد يتبلغ به الغريب في مطارح الغربة! وما احبه من رفيق يأنس به في وحدته ، ثم ما امتنه من سبب يربط حاضره بماضيه !

وفي اميركا الشمالية نزل شاعرنا اول ما نزل في مدينة « سنسناتي » حيث كان قد سبقه اليها اخوه الاديب مراد أبو ماضي . وراح شاعرنا في المرحلة الاولى من هجرته يسعى الى المجد عن طريق التجارة فيحالفه النجاح حينا ويتخلى عنه احيانا .. ولعل المرحلة الاولى من حياة كل مهاجر كانت أشقها عليه ، ففيها كان يكافح كفاح الجبابرة ، ويشتغل بأي شيء ويتعرض لكل شيء كسبا للضروري من القوت .

وما أجمل تصوير الشاعر مسعود سماحة لمغامرات هذه المرحلة من حياة المهاجرين اذ يقول :

**كم طويت القفار مشيا وحملي ... فوق ظهري .. يكاد يقصم ظهري**
**كم طرقت الابواب غير مبال ... بكلال .. وقر فصل وحر**
**كم ولجت الابواب .. والليل داج ... ووميض البروق شمسي وبدري**
**كم توسدت صخرة .. وذراعي ... تحت رأسي ..وخنجري فوق صدري**

وكان كفاح شاعرنا الشاق المرير كافيا ان ينسيه وطنه، وكان المجتمع الجديد كفيلا ان يذيبه كما اذاب غيره من مهاجري الاجناس الاخرى التي نزحت الى اميركا ..ولكن هيهات ان يذيبه فيه العالم الجديد او ينسيه وطنه العربي ولغته ..

بل على العكس نرى الهجرة تستحيل في قلبه وعقله ووجدانه الى قوة جديدة ، تزيده تعلقا بوطنه وتمجيدا له وغيرة عليه ، ودفاعا عن حقوقه بقلمه ، ومشاركة في افراحه واحزانه ، وايمانا بمستقبله ، واستنهاضا لقومه نحو الحرية والاستقلال والعمل لخير الوطن ..

قضى في المرحلة الاولى من هجرته خمس سنوات غير سعيدة في مدينة « سنسناتي » يكد نهارا من اجل العيش ، ويخلو ليلا الى كتبه وقلمه واوراقه ويتابع نظم الشعر .

ويتلفت حوله في هذه المدينة فلا يرى اديبا عربيا واحدا يتجاوب معه ويتعاطف وانما يرى عالما ماديا لا مكان للروح فيه ، وخاصة روح الشاعر الملهم مثله .

وهنا يذكر مصر وأدباءها وشعراءها وصحافتها، ويحن لعهده فيها فينظم قصيدة طويلة ملؤها الوفاء والحنين لوطنه الثاني ، منها :

**جاد الكنانة عني وابل غدق ... وان يك النيل يغنيها عن الديم**
**صرفت شطر الصبا فيها فما خشيت ... رجلي العثار ولا نفسي من الوصم**
**في ذمة الغرب مشتاق ينازعه ... شوق الى مهبط الايات والحكم**
**وما سرت نسمات نحوها سحرا ... الا وددت لو اني كنت في النسم**
**الشرق تاج ، ومصر منه درته ... والشرق جيش ومصر حامل العلم**
**احنى على الحر من أم على ولد ... فالحر في مصر .. كالورقاء في الحرم**

وتشق عليه غربته الروحية ووحدته الفكرية في هذه المدينة ، فيقارن بين حاله في يومه وأمسه . واذا هو يدمدم بالشعر حنينا الى وطنيه : لبنان ومصر ، واعلاء لهما على كل وطن اخر :

**وطنان اشوق ما أكون اليهما ... مصر التي احببتها وبلادي**
**ومواطن الارواح يعظم شانها ... في النفس فوق مواطن الاجساد**
**حرصي على حب الكنانة دونه ... حرص السجين على بقايا الزاد**
**بلد الجمال خفيه وجليه ... والفن من مستطرف وتلاد**
**عرضت مواكبها الشعوب فلم اجد ... الا بمصر نضارة الابداد**
**عاش الجدود وائكلوا ما أثلوا ... واليوم ينبعثون في الاحفاد**
**المسبغين على النوابغ فضلهم ... كالفجر منبسطا على الاطواد**
**بناء مصر الناهضين تحية ... كودادكم .. ان لم أقل كودادي**
**من شاعر كلف بكم وبأرضكم ... أبدا يوالي فيكم .. ويعادي**

لم يكن بيعيا لشاعر طموح مثله ان يعيش حياته مغمورا في مدينة صغيرة ، بعيدا عن صحبة الفكر والروح والقلم . ولهذا نراه يرحل صيف عام ١٩١٦ الى مدينة نيويورك . ولم يكد يحط رحاله فيها حتى اخذ يتصل باخوانه من ادباء المهجر هناك ، ويواصل نظم الشعر ويشتغل بالتحرير في الصحف كصحيفة « زحلة الفتاة » و « مرآة الغرب » .

وسرعان ما لمع اسمه بين الكتاب والشعراء العرب في تلك المدينة وعرفه المهجريون شاعرا واديبا . وقد شجعه ذلك فاصدر ديوانه الثاني « ديوان ايليا أبو ماضي » عام ١٩١٩ .

وفي نيويورك توثقت الصلات بينه وبين أدباء الرابطة القلمية من أمثال جبران ونعيمة ونسيب عريضة ورشيد أيوب وندرة حداد ، واشترك معهم في تدعيم هذه الرابطة التي اتخذ اعضاؤها من جريدة « السائح » وقتئذ أداة للتعريف بدعوتهم التجديدية في الادب واللغة.

ودعوتهم هذه كانت تهدف الى بعث الادب العربي، وبث روح جديدة نشيطة فيه والخروج به من دائرة التقليد والمحاكاة الى حيث يصبح قوة فعالة في حياة الامة.

فالادب في مفهومهم هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها . هو رسالة لا معرض للزخارف اللغوية والعروضية . هو انعكاس لموقف الانسان من الحياة التي يعيشها مؤثرا فيها ومتأثرا بها . والانسان عندهم .. الانسان الذي هو لغز الالغاز ، وسر الاسرار ، والذي يعيش في صراع دائم مع الطبيعة ، هو موضوع الادب . والاديب في نظرهم هو من أوتي رهافة الحس ودقة الفكر ونفوذ البصيرة في تموجات الحياة وتقلباتها، مع قدرة فائقة في الابانة والتعبير عما تحدثه الحياة في نفسه من انفعال وتأثير .

وهكذا نرى رواد هذه المدرسة الادبية الجديدة في كل ما يصدرون يفتشون عن انفسهم ، ويستلهمون عوالمها، ويحلقون في أجوائها بأرواح مجنحة ..

على ان هذه النزعة الجديدة كما يقول الاستاذ جورج صيدح ، لم تسلم من نقد مفكر كبير كالريحاني الذي استولت عليه فكرة وحدة الامة العربية .

فقد كان يأخذ على جبران ونعيمة وامثالهما استنفاد طاقتهم الادبية الكبيرة في فلسفات روحية ، وفي تخدير النفوس بالاحلام والاوهام، بينما الاوضاع العربية في حاجة ملحة الى الاصلاح العملي الناجز.

وما من شك في أن نقد الريحاني له قيمته واعتباره. فمن أقدر من قادة الفكر في اي أمة على الاضطلاع بتصحيح اوضاعها الخاطئة والقيام بدور ايجابي في بعثها ونهضتها؟

ولكن اذا كانت اللغة اهم مقوم من مقومات القومية ، فمما لا شك فيه ان مدرسة المهجر الادبية قد أسدت الى القومية العربية اجل الخدمات بما ادخلته على اللغة العربية والادب العربي من روح التجديد شكلا وموضوعا ، هذه الروح التجديدية التي تأثر بها أدبنا الحديث في جميع أجزاء الوطن العربي .

ومع ان ابا ماضي قد تأثر بهذا الاتجاه الجديد وشارك فيه بأدبه وفنه ، فانه في الواقع لم يفقد صلته الوجدانية بوطنه واحداثه . وليس موضوع محاضرة الليلة الا مظهرا من مظاهر هذه الصلة .

لقد راح منذ استقر به المقام في نيويورك يخدم قومه وبلاده ولغته بالقلم ، فأصدر ديوانيه : « الجداول والخمائل » وأسس مجلة « السمير » التي جعلها طوال حياته منبرا للتجديد والاصالة في اللغة والادب ، وصوتا ينبعث من المهجر للدفاع عن قضايا الوطن العربي، ودعوة أبنائه للتآخي ووحدة الصفوف ، ونبذ التعصب بجميع صوره وأشكاله .

فعلام يدل كل ذلك ان لم يدل على مدى اعتزازه بقوميته ، وتمكن روح العروبة الاصيلة من قلبه ، ونهوضه لخدمة بلاده في الميدان الذي يجيده وهيأته العناية له؟.. وعلام تدل اللبنانيات من شعره ان لم تدل على ما فطر عليه من صفات الوفاء والولاء ، والحب والحنين للبنان ..؟

ولبنان المنساب في أطواء نفسه هو لبنانُ الطفولة بمرحها ولهوها ، بعذوبتها وبراءتها ، ونعومتها وسماحتها. لبنان العواطف المتفتحة كبراعم الورود . لبنان الروح الالوف الذي يؤاخي الانسان والحيوان والجماد ويجد في صحبتها ومخاطبتها انسا ومتعة . ثم لبنان الطبيعة بكل مشاهدها ومباهجها ، وكل ما ينبض بالحياة على أرضها، ويرفرف بالبشر في جوها ، ويطل بالضياء على الدنيا من سمائها .

ذلك . هو لبنان الذي ارتحل مع الشاعر ، ورافقه في غربته يقظان نائما . لبنان الذي يهيجه الحنين اليه فاذا هو يغنيه في ابتهال قائلا :

| | |
|---|---|
| ومليحةٍ في وجهها ألقُ الضحى | والسحر والعصباء في أقوالها |
| قالت : أينسى النازحون بلادهم؟ | ما هاج حزنَ القلب غيرُ سؤالها |
| الارضُ .. سوريا أحب ربوعها.. | عندي ، ولبنانٌ أعز جبالها |
| والناسُ أكرمهم عليَّ عشيرها | روحي الفداء لرهطها ولآلها |
| والشهبُ أسطعها التي في أفقها | ليس الجلالُ الحق غيرَ جلالها |
| وأحبُّ غيثٍ ما همى في أرضها | حتى الحيا الباكي على أطلالها |
| مرح الصبا الجذلان في أسحارها | ومنى الصبا الولهان في آصالها |
| اني لاعرف ريحها من غيره | بنوافح الاشذاء في أذيالها |
| تلك المنازل .. كم خطرت بساحها | في ظل ضيفمها وعطف غزالها |
| وشدوتُ مع اطيارها وسهرت مع | أقمارها ، ورقصت مع شلالها |
| وسجدت للالهام مع صفصافها | وضحكت للاحلام مع وزالها |
| وملأت عقلي من حديث شيوخها | وأخذت شعري من لغى أطفالها |
| تشتاق عيني قبل يغمضها الكرى | لو أنها اكتحلت .. ولو برمالها ! |

ويرى في مغتربه منظرا يذكره بالربيع في ربى لبنان فيهتف من أعماق قلبه معبرا عن هذا الربيع بصورة شعرية تمتع العين والاذن :

| | |
|---|---|
| ولقد نظرت اليكم فكأنني | أنا في الربيع وفي ربى لبنان |
| أصغي الى النسمات تروي للربى | ما قالت الاشجار للغدران |
| والى السواقي وهي تنشد للصبا | والحب في الفتيات والفتيان |
| والى الازاهر .. كلما مرت بها | عذراءُ ذاتُ ملاحة وبيان |
| متهامسات : ما نظن « فلانةً » | أحد بها أولى من « ابن فلان » |

ولئن غاب في نيويورك لهو مقيم في وطنه بروحه لا يشكو كغيره الفراق وغربة الاجسام :

| | |
|---|---|
| لست أشكو ان شكا غيري النوى | غربةُ الاجسام ليست باغترابِ |
| أنا كالسوسن ان لم ينتقل | لم يتوج زهرُه رأسَ كعاب |
| أنا في نيويورك بالجسم وبالر | وح في الشرق على تلك الهضاب |
| في ابتسام الفجر، في صمت الدجى | في أسى تشرين في لوعة آب |
| أنا في الغوطة زهر وندى | أنا في لبنان نجوى وتصابي |
| ربَّ هبني لبلادي عودة | وليكن للغير في الاخرى ثوابي |

وتمر الايام والسنون فلا تزيده الا شوقا وحنينا الى بلاده . واذا أجمل الجمال واحسن الحسن ما كان فيها :


تفخر بأن تقدم
للقارىء العربي
الروائع التالية :

دار النشر للجامعيين
مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع - يشرف عليها لجنة من الجامعيين
المدير المسؤول: محمد انيس الطباع
بيروت - شارع سوريا - بناية درويش - هاتف ٢٠٧٢٧ - ص.ب ٣٨٧٤

| | | السعر ق.ل |
|---|---|---|
| أنا كرنينا | تأليف ليو تولستوي | ٥٠٠ |
| امرأة من روما | تأليف البرتو مورافيا | ٦٠٠ |
| الامال الكبيرة | تأليف تشارلز ديكنز | ٥٠٠ |
| الارض العذراء | تأليف بيار روفائيل | ٤٠٠ |
| الناصر لدين الله | تأليف سيمون حايك | ٤٠٠ |
| جندي مع العرب ((طبعة ثانية)) | مذكرات كلوب باشا | ٥٠٠ |
| الماركسية في الفلسفة | تأليف حسني ناثان | ٦٠٠ |
| المبادىء العامة للفقه الجعفري | تأليف هاشم معروف الحسيني | ٦٠٠ |
| هكذا تكلم زرادشت | ترجمة غياث حجار | ٤٥٠ |
| ابن هانىء الاندلسي | تأليف الدكتور منير ناجي | ٥٠٠ |
| ليبيا العربية | تأليف الدكتور ممدوح حقي | ٣٠٠ |
| تاريخ الفقه الجعفري | تأليف هاشم معروف الحسيني | ٤٠٠ |
| المرأة في حضارة العرب | تأليف محمد جميل بيهم | ٥٠٠ |
| قبس من الاسلام | تأليف الشيخ معوض عوض ابراهيم | ٥٠٠ |
| الحلة السيراء | تحقيق الدكتور عبدالله الطباع | ١٥٠٠ |
| فتوح البلدان | تأليف البلاذري | ١٥٠٠ |
| الصيد والطرد عند العرب | تأليف الدكتور ممدوح حقي | ٣٠٠ |

اني مررت على الرياض الحاليه
وسمعت أنغام الطيور الشاديه
فطربت .. لكن لم يحب فؤاديه
كطيور أرضي ، أو زهور بلادي
وشربتماء النيل .. شيخ الانهر
فكأنني قد ذقت ماء الكوثر
نهر" تبارك من قديم الاعصر
عذب ... ولكن لا كماء بلادي
ورسمت يوما صورة في خاطري
للحسن .. ان الحسن رب الشاعر
وذهبت أنشدها فأعيا خاطري
حتى نظرت .. الى بنات بلادي
قالوا : رأيناها .. فلم نر طيبا
ولتى صباها والجمال مع الصبا
فأجبتهم : لتكن بلادي سبسبا
قفرا .. فلست أحب غير بلادي
قالوا : تأمل أي حال حالها ؟
صدع القضاءُ صروحها فأمالها
ستموت.. ان الدهر شاء زوالها
أتموت ؟ كلا لن تموت بلادي

ويلح الحنين عليه في ليل وحدته فيسافر بخياله الى لبنان ويروح يتنقل بخاطره بين ربوعه ودنيا حداثته. وهناك يرى أطياف ماضيه مختلطة بواقع بلاده التي تئن تحت وطأة الظلم ، فيستجيشه كل ذلك . واذا هو يحيى بلاده فى حب ، ويصور منازل طفولته ومعاهدها ، ويستنهض قومه غضبا لكرامة الوطن ومصيره ، مذكرا اياهم بالنخوة العربية :

مثلما يكن اللظى في الرماد هكذا الحب كامنا في فؤادي
لست مغرىً بشادن او بشاد أنا صب" متيم ... ببلادي
يا بلادي .. عليك الف تحية

* * *

انت ما دمتُ في الحياة حياتي فاذا ما رجعت للظلمات
واستحالت جوارحي ذرات فلتقل كل ذرة في رفاتي :
عاش لبنان ... ولتعش سورية

* * *

ذاك ليل قطعته اتأملْ رسمها الصامت الذي ليس يعقل
وبناني مع خاطري تتنقل بين هذا الحمى وذاك المنزل
والربى .. والخمائل السندسية

* * *

ههنا رسم منزل أشتهيه ههنا مربع أحب ذويه
ههنا رسم معهد كنت فيه مع رفاقي أجر ذيل التيه
في الضحى..في الاصيل..بعد العشية

* * *

ما لقومي ، وقد دهتها الدواهي بالذي يطفىء النجوم الزواهي
ويثير الحماس في الامواه قعدوا بين ذاهل أو لاه
أين أين الحفيظة العربية ؟

* * *

هي أم لكم ، وأنتم بنوها حفظت عهدكم فلا تنكروها
أنتمُ أهلها ، وانتم ذووها لا تُعينوا بالصمت من ظلموها
ذاك عار على النفوس الابية

* * *

ويستحيل لبنان في عقله الباطن الى صورة للنعيم والخلد فاذا الدهر يقف حياله عاجزا لا يستطيع ان ينال منه أو من أمل أبنائه . ثم يروح يصور لنا ما يشتاقه في لبنان ، ولكنه لا ينسى ان يمس ما ينكره فيه من حزبية وطائفية :

اثنان أعيا الدهرَ ان يبليهما لبنانُ ، والامل الذي لذويه
نشتاقه .. والصيف فوق هضابه ونحبه .. والثلج في واديه
واذا تمد له ذكاء حبالها بقلائد العقيان تستغويه
واذا تنقطه السماء عشية بالانجم الزهراء ترتضيه
واذا الصبايا في الحقول كزهره يضحكن ضحكا لا تكلف فيه
هن اللواتي قد خلقن لي الهوى وسقينني السحرَ الذي أسقيه

* * * * * *

وطني ستبقى الارضُ عنديَ كلها ـ حتى أعود اليك ـ أرضَ التيه
سألوا الجمال ، فقال : هذا هيكلي والشعر ، قال : بنيت عرشي فيه

* * * * * *

غيري يراه سياسة وطوائفا ويظل يزعم أنه رائيه
ويروح من اشفاقه يبكي له لبنان : أنت أحق أن تبكيه
لا يسفر الحسن النزيه لناظر ما دام منه الطرفُ غيرَ نزيه

* * * * * *

قل للألى رفعوا التخوم لارضه ضيقتم الدنيا على أهليه
ولمن يقولون : الفرنجُ حماته ؟ الله .. قبل سيوفهم حاميه

* * * * * *

يا صاحبي : يَهنيك أنك في غد ستعانق الاحباب في ناديه
ان حدثوك عن النعيم فأنبوا فاشتقته .. لا تنس أنك فيه!

* * *

ويدعى للقول فى حفل تكريم الاستاذ كمال جنبلاط فيتخذ من هذه المناسبة فرصة لسؤال المحتفل به عن الوطن فى شعر يلمس شغاف القلوب بما يموج فيه من الحنين المصفى والوصف الرائع لجمال لبنان :

تلك المنازلُ .. كيف حال مقيمها انا قنعنا بعدها برسومها
تمشي على صور الطيور لحاظنا تَشوى .. كمن يصغي الى ترنيمها
ونكاد نعشق في الازاهير الدمى ازهارها ونحس في بؤسها ونعيمها
نشتاقها في بؤسنا ونعيمنا ونجبها في بؤسها ونعيمها
لولا الخيال بعين أنفسنا .. لما سكتت ، ولم يهدأ صراخ كلومها
ولكان شهد الارض في أفواهنا وهو اللذيذ .. امرَّ من زقومها

* * *

يا حاملا في نفسه وحديثه أحلام أرزتها ولطف نسيمها
حدث بنيها : شيخهم وفتاهم عن ليث غابتها وظبي صريمها
خبرهم ان الكواكب لم تزل تحنو على العشاق بين كرومها
ما زال بلبلها يغني للربى والسحر تنفثه لواحظ ريمها
والريح تلتقط الشذى وتذيعه من شيحها طورا ومن قيصومها
وهضابها يلبسن عسجد شمسها حينا ، واحيانا لُجين نجومها
والفجر يرقص في السهول وفي الربى متهللا فتهش بعد وجومها
حدثهمُ عن ليلها ونجومها وعن الهوى في ليلها ونجومها
وعن الشطوط الحالمات بعودة للغائبين ، ورجعة لنعيمها

* * *

وقصيدة « الشاعر في السماء » تريدنا في تأثر واشفاق كيف ان قضاء فصل صيف أو شتاء في لبنان قد صار أكبر أمنياته . في هذه القصيدة القصصية التي صاغها من الحنين اللاذع ، وأترعها بالحب والشجن ، ووشاها بلطف الخيال وعذوبة الموسيقى يقول :

رآنيَ اللهُ ذات يوم في الارض أبكي من الشقاءْ
فرقّ ... والله ذو حنان على ذوي الضر والعناء
وقال : ليس التراب دارا للشعر ، فارجع الى السماء
وشاد فوق السماك بيتي ومد ملكي على الفضاء
فالتفتتْ الشهبُ حول عرشي وسار في طاعتي الضياء

* * *

لكنني لم أزل حزينا ... مكتئب الروح في العلاء
فاستغرب الله كيف أشقى ... في عالم الروح والسناء
وقال ما زال آدميا ... يصبو الى الفيد والطلاء
ومس روحي وأستل منها ... شوقي الى الخمر والنساء
فاشتد نوحي وصار جهرا ... وكان من قبل في الخفاء
يأيها الشاعر ... المغنيّ ... حيرني .. داؤك العياء
هل تشتهي أن تكون طيرا ؟ ... فقلت : كلا ولا غناء
هل تشتهي أن تكون نجما؟ ... أجبت : كلا ولا بهاء
هل تبتغي المال ؟ قلت : كلا ... ما كان من مطلبي الثراء
ولا أريد الذي لغيري ... ذا حكمة كان أم مضاء
لكن امنيةً .. بنفسي.. ... يسترها الخوف والحياء

* * *

فقال : يا شاعر .. عجبا ... قل لي اذن : ما الذي تشاء ؟
فقلت : يا رب فصل صيف ... في أرض لبنان أو شتاء
فانني ههنا غريب ... وليس في غربة ... هناء

* * *

فاستضحك الله من كلامي ... وقال : هذا هو الغباء
لبنان أرض ككل أرض ... وناسه والورى سواء
وفيه بؤسى وفيه نعمى ... وأرديه وأتقياء ..
فأيّ شيء تشتاق فيه ؟ ... فقلت : ما سرني وساء
تحن نفسي الى السواقي ... الى الاقاحي .. الى الشذاء
الى الروابي .. تعرّي وتكسي ... الى العصافير والغناء
الى العناقيد .. والدوالي ... والماء والنور والهواء

* * *

فأشرف الله من علاه ... يشهد لبنان في المساء
فقال : ما أنت ذو جنون ... وانما أنت ذو وفاء
فان لبنان ليس أرضا ... ولا بلادا ... لكن سماء

واخيرا تتحقق أمنيته التي يسترها الخوف والحياء فيعود مرة الى لبنان . وكما يطرق الغريب باب الدار ويصيح بأمه فرحا ينبئها بعودته ، نرى الشاعر في نشوة السرور والغبطة يطرق باب الوطن ويقبل عليه هاتفا مترنما :

وطنَ النجوم .. أنا هنا ... حدّق ، أتذكر من أنا؟
ألمحت في الماضي البعيد ... فتى غريرا ... ارعنا ؟
جذلان يمرح في حقولك ... كالنسيم . مدندنا ؟
يتسلق الاشجار لا ... ضجرا يحس ولا ونى ؟
ويعود بالاغصان يبـ ... ـريها سيوفا أو قنا ؟
ويخوض في وحل الشتا ... متهللا ... متيمنا ؟
لا يتقي شرَّ العيو ... ن ، ولا يخاف الالسنا ؟
ولكم تشيطن كي يقو ... ل الناس عنه : « تشيطنا »؟

* * *

أنا ذلك الولد الذي ... دنياه كانت ههنا
أنا من مياهك قطرةٌ ... فاضت جداول من سنا
أنا من ترابك ذرة ... ماجت مواكب من مُنى
أنا من طيورك بلبل ... غنى بمجدك .. فاغتنى
حمل الطلاقة والبشا ... شة من ربوعك للدنى
كم عانقت روحي ربا ... ك ، وصفقت في المنحنى
للارز يهزأ بالريا ... ح ، وبالدهور ، وبالفنا
للبحر ينشره بنو ... ك حضارة .. وتمدنا
لليل فيك مصليا ... للصبح فيك مؤذنا
للشمس تبطىء في ودا ... ع ذراك كيلا تحزنا
للبدر في نيسان يك ... حل بالضياء الاعينا
للحقل يرتجل الروا ... ئع زنبقا أو سوسنا
للعشب أثقله الندى ... للغصن أثقله الجنى
عاش الجمال مشردا ... في الارض ينشد مسكنا
حتى انكشفت له فألـ ... ـقى رحله ... وتوطنا
واستعرض الفنّ الجما ... ل ، فكنت أنت الاحسنا
لله سرٌ فيك . يا ... لبنان لم يكشف ... لنا
زعموا : سلونك .. ليتهم ... نسبوا الي .. الممكنا

* * *

هذه ، أيها السادة ، نماذج من اللبنانيات في شعر ايليا أبي ماضي. نماذج من الشعر الرفيع الخالد الذي تغنى فيه بلبنان الجميل .

لبنان الذي يعيش في عقله الباطن طفولة ، ويعيش فيه عواطف متفتحة كبراعم الورود ، وطبيعة تنبض أرضها ويفيض جوها وسماؤها بالحياة والبشر والحسن.

هذه الاغاني التي ترفع الى درجة الابتهالات قد صاغها خيال الشاعر المبدع من رواء الفن، وعذوبة الموسيقى، وسحر الكلمة .

وفيها أذاب قلبه وروحه وعواطفه وبث شعلة من حبه وحنينه وأساه ، ثم أطلقها رمزا للوفاء والولاء.

على أن ارتباطه الوجداني بلبنان لم يقتصر على جانب اللبنانيات فحسب ، وانما تعداه الى جانب اخر هام هو الجانب القومي.

فقد خلف لنا فيما خلف ذخيرة ثمينة من الشعر الوطني ، تتجلى لنا فيها وطنيته الحقة ، وعروبته الاصيلة، ومشاركته الايجابية بالقلم دفاعا عن قضايا وطنه .

ولا أظن احدا من الشعراء المهجريين يجاريه في ذلك او يفوقه فيه غير الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، أو قديس الوطنية العربية ، كما سماه الاستاذ أكرم زعيتر.

في هذا الشعر الوطني الذي يكمل اللبنانيات يتسع مفهوم الوطن لدى أبي ماضي حتى يشمل الوطن العربي كله .

في هذا الشعر نرى الشاعر في عنف وايمان وشجاعة يحارب الظلم ، ويعادي الاستعمار ، وينعي على دعاة الفرقة والطائفية ، ويثور على محترفي السياسة والمتاجرين بمقدسات الوطن .

وفيه يحذر قومه من المقايضة على حريتهم واستقلالهم بأي ثمن . ثم فيه اخيرا دعوة الاخوة الى الوحدة ، فبها وحدها يستطيعون ان يستعيدوا سابق مجدهم وقوتهم، وأن يستأنفوا دورهم الحضاري.


فنـدق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز واسعار معتدلة

بادارة : حلمي المباشر

والمجال هنا لا يتسع لعرض نماذج من شعر ابي‌ماضي الوطني ، فلهذا مناسبة أخرى . ولكنا نكتفي منه بنموذجين للدولالة على اتجاه وطنياته ومعانيها .

يرى الشاعر قلة طموح قومه في وقت ما ويرى قنوعهم من الحياة بالدون وفتور روح الغيرة على الوطن فيهم ، فيستحثهم ، ضاربا الامثال لهم بدفاع الحيوانات والطيور .. حتى الحشرات عن مواطنها قائلا :

ارى الليثَ يدفع عن غيضته ... بانيابه ... وباظفاره
ويجتمع النمل في .. قريته ... اذا خشي الغدر من جاره
ويخشى الهزار على وكنته ... فيدفع عنها ... بمنقاره
فلا الكاسرات .. ولا الضيغم ... ولا الشاة تمدح .. جزارها
متى يذكر الوطنَ النوْمُ ... كما تذكر الطير اوكارها؟

ثم يرى غدر الاستعمار بالعرب في فلسطين خدمة للصهيونية فينطلق هادرا يدافع بقلمه عن فلسطين العربية دفاع العرب الاحرار مؤكدا عروبتها واستعادة العرب لها شاء الاستعمار أم أبى :

فليست فلسطين أرضا مشاعا ... فتعطي لمن يشاء أن يسكنا
فانْ تطلبوها .. بسمر القنا ... نردكم بطوال ... القنا
ففي العربي صفات الانام ... سوى أن يخاف .. وان يجبنا
وان تعجلوا بيننا بالخداع ... فلن تخدعوا رجلا مؤمنا
وان تهجروها .. فذلك أولى ... فان فلسطين ملك لنا
وكانت لاجدادنا ... قبلنا ... وتبقى لاحفادنا .. بعدنا
فلا تحسبوها لكم موطنا ... فلم تك يوما لكم موطنا
وليس الذي نبتغيه محالا ... وليس الذي رمتم .. ممكنا
واما أبيتم .. فأوصيكمُ ... بانْ تحملوا معكم الاكفنا
فانا سنجعل من أرضها ... لنا وطنا .. ولكم مدفنا

* * *

ما أجمل هذا الشعر أن يلقنه الشباب العربي ليعلموا الى اي مدى من السمو والعمق يبلغ العربي الاصيل في حبه لوطنه ! وما احق ان ينشأوا عليه ليتشربوا روحه فيشبوا مفطورين على حب وطنهم والاعتزاز به والعمل لخيره.

لقد ركب شاعرنا البحر من أجل المجد فعلمته الغربة أن مجده الخالد هو في الاحتفاظ بقوميته ولغته ، وفي التضحية والكفاح في ميدان القلم من اجل امته. ولهذا خلف لنا تراثا ادبيا خالدا تفخر به العربية والعروبة.

ولعل خير ما يلخص موقفه من قومه هذه الكلمة التي وردت في مقال له بالعدد الاول من مجلة « السمير » التي أصدرها عام ١٩١٩ :

في هذه الكلمة يقول :

« ... اجل قد رجعت الى الصحافة لاني أحسب كل يوم أنفقه في غير خدمة بلادي ولغتها ليس من عمري.

بل أنا اعتبر الفناء في أمتي وجودا ، والوجود في غير أمتي فناء . ولان تدميني أشواكها أحب الي من أن ينثر علي سواها الورود والرياحين.

أنا لامتي .. ضاحكا وباكيا ، بل أنا لها .. ضاحكة وباكية .. »

هذه كلمة عربي مفكر غذته العروبة بلبانها فظل حياته وفيا لها بارا بها ، مغنيا لها في أفراحها وأحزانها ..

فما أحرانا أن نتخذ من كلمته هذه شعارا يوحي لنا دائما بأنبل العواطف ، وأسمى المشاعر القومية والانسانية !

**عبد العزيز عتيق**

# ابنة الظلمات

**من مغامرات برجوازي**

* * *

شفتاك كاذبتان لاتتهربي
اني انتظرتك في ضفاف المغرب
المحت غيري ..؟ لست اول طفلة
باعت بقاياها لغير مجرب
القتك قماتي .. فانت طريحة
تتلفتين لكل طيف معجب
عيناك والاشباح سافرتا الى
حجر الظلام .. على شراع متعب
ياذئبة الظلمات لا تتثاءبي
لاتسكبي الغفران .. لا تتعذبي
وتغربي عبر « المشاوير » التي
لا تنتهي ... لابأس ان تتغربي
لا تتبعيني .. لست اول قطة
لوثتها .. ورميتها .. كالطحلب
قد قلبتك عيونهم .. لاتطرقي
بابي ... فعندي كرمة لم تنضب
قلبتها وحدي .. عصرت كرومها
ملأى قواريري فلا تتقربي
في كل عام ينضج العنب الذي
يسقى العروق من الرحيق الطيب
دوري بأعواد الثقاب وبعثري
تيجانها .. كهشيم ذاك السبسب
اخطرت في ردهات قلبي مرة ؟
وعبرت في ركب الزمان القلب ؟
اني نسيتك مثل حلقات الدخان
نفثتها .. اني نسيتك فاذهبي !
قلبي تمر به العوابر .. تنتهي
عند الهزيع .. على دروب الغيهب
ياطفلة الظلمات دوري في الدجى
فالليل ميناء السفين المتعب
أغلقت نافذتي .. فبين سواعدي
اخرى .. فعودي للظلام ونقبي
ابريل يعرض لي معارضه ففي
ابريل .. ميعاد الربيع المخصب

**ام درمان** — **محيي الدين فارس**